أبو كبير

الجزء الأول

١

بقلم

علي سالم عمار

الطبعة الأولى

طبع هذا الكتاب على نفقة مضارب أرز علي عمار بابى كبير وفاقوس

التليفون ٣٩ أبو كبير — ٩٢ فاقوس

ملتزم بيعه جمعية المحافظة على القرآن الكريم بابى كبير وقيمة الثمن جميعه تبرعت به المضارب لمشروع انقاذ فلسطين وثمن النسخة ١٠ ص

دار النصر للطبع والنشر با

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم باحسان الي يوم الدين

تقديم

أقدم لابناء العشيره مواطني الكرام هذا البحث عن تاريخ أبي كبير لمناسبة افتتاح مركزها الجديد. وللحاكمين كذلك ليعرف الجميع. ان من أهم العوامل التي أخرت سير نهضة أبي كبير العمرانية الاجتماعية وأخرت ما كانت الحاجة ماسة له من المرافق الصحية والتعليم بها هو تأخير انشاء هذا المركز.

ان جميع ما بابي كبير من المنشآت ليس الا نذرا يسيرا سار بخطي وئيده ومن طريق عادى ساهمت فيه الاهالى كذلك بأقل مما استطاعت طاقتهم وبمجهود ضنين

فالحكومات السابقة المتعاقبة لم تعن بالترفيه عن الاهالى بتيسير وسائل الاصلاح حسب ما تقتضيه ضرورة عدد السكان والعمران وروح العصر والاهالي لم يقوموا من جانبهم جديا بالمطالبة بحقوقهم ونصيبهم كما هو حظ البلاد المجاورة التى هي أقل مماثله لها في العدد. وكذلك ضاعت المصالح بين سكوت الحكومة وعدم تحرك الاهالى للقيام بواجبهم فمنذ أكثر من ربع قرن كان هذا المركز مطلوب. لا الحكومة تجيبه ولا الاهالى يواصلون السعي في المطالبة به. فكم من وعود لم تحقق وكم من مساع ذهبت عند مجرد الوعد ادراج الرياح.

فاذا كان هناك من يستحق الحمد على تحقيق هذه النشأة فانما هى حكومة صاحب الدولة النقراشي باشا حكومه العمل لا حكومة القول والتى نرجوا أن يتم على يديها خير وادي النيل وأمنيته من الجلاء والوحده تحت تاج الفاروق المعظم أيده الله

وجعله خير محي للوادي وللعروبة وللاسلام كافة ، واذا كان لابي كبير أن تسجل في سجل تاريخها أحداً من الحكام فذلك المدير الحازم راغب د كرورى بك الذى أسرع فى افتتاح هذا المركز ولاننسي سعادة يونس صالح باشا الذي بدأ يعطف على طلباتنا .جعله الله فاتحة خير ورخاء ونهضة لهذا البلد وماجاورها من البلاد والسكان

سبب هذا البحث

أما الحافز على هذا البحث فقد أوجدته أولي الانتخابات لمجلس نوابنا الحديث سنة ١٩٢٤

رشح الوفد المصرى لدائرة كفر صقر الانتخابية التى كانت أبو كبير ضمنها قبل أن تكون لها دائرة باسمها حضرة الاستاذ الكبير محمد بك أمين يوسف عضو مجلس الشيوخ اليوم . ورشح حضرة الوجيه المغفور له النجدي بك سالم عمدة كفر أبى كبير فى ذلك الوقت نفسه منافسا لمرشح الوفد . ولا يخفى ما كان للوفد من النفوذ والسلطان على الجماهير وعلى الشعب المصرى قاطبه وما كان له من أساليب فى الدعاية وما لديه من كبار الكتاب والخطباء .

اقام أمين بك يوسف حفلا انتخابيا بكفر صقر حضره زعماء الوفد وأساطينه وقام من بينهم خطيب لاذع أراد أن يلمز النجدي بك سالم فسخر من ابي كبير بطريق التورية والمجاز وتكلم عن معني كلمة أبي كبير فقال انها ذات رائحة كريهة ومعناها (الخنتيته) ذات الرائحة الكريهة . قصد بذلك الحط من مركز أبى كبير ومرشحها لتنصرف الناس عنه ولتجتمع على أمين بك يوسف مرشح الوفد

ولكن عبارة الخطيب عملت عكس ما أراد . حركت نزعة العصبية . وعدها أهل أبى كبير اهانة لهم جميعاً وجب الثأر لها ، ولاسبيل لغسل هذه الاهانة أوالثأر لها ألا بخذلان مرشح الوفد وانجاح النجدى بك سالم مرشح أبى كبير . عندئذ تتبدل الرائحة الكريهة بالرائحة الزكية وتظهر شخصية أبى كبير المنوية في شخص

مرشحها . وتم ذلك وانتصر النجدى بك سالم . وكان لهذا الانتصار هزة فرح وسرور فى شعب أبى كبير واكبر هذه العزيمة المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول باشا وتحدث بها الناس وتحدثت بها الجرائد حتى الصحف الاجنبية . فقد كان أمين بك يوسف معروفا فى الاوساط السياسية الانجليزية لدفاعه عن الوفد ولاتصاله الوثيق ببيت الأمة خصوصا وان أنصار الوفد كانوا قد اكتسحوا غالبية الدوائر أو كلها عدا النفر اليسير الذي منه دائرة النجدي بك سالم .

وكنت قد قلت فى ذلك شعراً ارد على مزاعم الخاطب فى حينه

ياجيرة الحيِّ من عُرَيْبٍ ... ومن قبيل له علاه
تمنن القوم فى أذاكم ... واللمز والسخر مبتغاه
وما بقذف الاذى يُرَجَّي ... لطالبٍ نيل ما يراه
أيسخر القوم من رضاكم ... ويرتضي الحر عن أزاه

..

قالو (ابو كبير) ليس الا ... حلتيت في أصل مبتناه
وريحه منتنٌ كريهٌ ... عناصر الشر فى حشاه
تجنبوا شره وهبوا ... لنكهة الخير فى سواه

..

فقلت كلا وألف كلا ... زيفا أتيتم قد افتراه
أبو كبير الذى لدينا ... ترياق راق بمستواه
ابو كبير السَّنِيُّ فحلٌ ... تَنَزَّلَ الشعر في رضاه
مقدم القوم فى (هُذَيْلٍ) ... مُبَرِّزٌ سابقٌ خطاه

..

فلوموم بأن فيكم ... غريزة السبق عن هداه
وناصروا منكموا أصيلا ... واحموا بكل القوى حماه
فليس للنصر غير بابٍ ... تضامنٌ محكمٌ عراه
عشيرة المرء هم حماه ... وفوزه عزهم وجاه

ومهما يكن من أمر هذا الحدث وأهميته فقد تركنا نحن الشباب نتساءل عن تفسير عبارة الخطيب كما ترك الجيران يلفظون بها عند ما يجد الجد وتحدث انتخابات . اذ أن المعروف حقيقة عند بائعي العطاره أن الحنتيته تسمي (أبو كبير) فلهذا طرفت البحث فجرني الي ان أتم (بابي كبير) من نواحيها المختلفة وذلك هو موضوعنا ولست أزعم أنى وفيته حقه بما لابدع مجالا للخوض فيه وفوق كل ذى علم عليم . ولكني بذلت هـــذه المحاولة الاولي من نوعها . وأرجو من أبنائنا المثقفين أن يتحروا الدقة لنصل الى الصواب والله الموفق .

البلاد وتسميتها وشهرتها

ذهبت شهرة البلاد وتسميتها كما ذهبت شهرة القبـــائل وتسميتها . تشتهر القبيلة باسم كبيرها أو زعيمها أو من يرفع ذكرها بين القبائل كما تشتهر البلاد باسم مؤسسها أو كبيرها أو زعيمها أو من يرفع من ذكرها . فسمت مصر مثلا مصرايم بن حام بن نوح . والاسكندرية باسم مؤسسها الاسكندر الاكبر والاسماعيلية باسم بانيها الخديوي اسماعيل . هذا في الاقطار وفي المدن الكبيرة وكذلك الحال في البلاد حتي في القرى وحتي في الشوارع وحتى في الازقه .

وفي بعض الحالات كان يغلب على الاقاليم الزراعية أو الجهات الصحراوية أو الاصقاع المعدنية صنف معين من الانتاج فيطلق على الاقليم أو الجهة أو الصقع أسم الشيء الغالب فيه مثل (منيا القمح) بلد تنتج القمح ،(وبير السبع/جهة تكثر بها السباع ،(ودير النحاس/صقع يكثر فيه معدن النحاس وهكذا .

كانت المدن التى تخطط وتبني تظهر فجأة حسب قوة مؤسسها وبانيها بمجرد رغبة الملك أو السلطان وأمره بتسميتها . أما القرى والنواحى فلا تشهر ولا يطلق عليها اسم معين قبل حقبة طويلة من الزمن قد تبلغ عشرات السنين .

وقد تكون مسماه ولكن بين جيرانها فقط فهي ليست مشهورة في دائرة

واسعة فاذا وقع فيها حادث ذوبال لفت الانظار اليها فوعتها الاسماع وسجلها التاريخ مقرونا بذلك الحادث ظهر ذكر دانشواى بظهور الحادث الانجابري المصرى وظهر ذكر (العلمين) بالمعركة الفاصلة بين الحلفاء والمحور .

وظهر ذكر (القصاصين) مع حادث اصطدام جلالة الفاروق واستشفائه بها ومحبة الشعب المصرى والعرب كافة والمسلمين عامة له .

وظهرت (انشاص) بظهور قصر الزهراء بها واستضافة الفاروق الخاصة للملوك والامراء وخصوصا اجتماع ملوك العرب به وحمايته لاسود العرب فيه .

وما كان لأبي كبير أثر في هذه الحالات يمكن أن تظهر به في الازمان السابقة . وقد يكون له شأن فيما بعد بجيرتها للفاروق المعظم فقد أصبحت طوخ القراموص من أملاكه الخاصة والفريدية كذلك ولنا أن نستبشر خيراً اليوم . ولعل انشاء هذا (المركز) أولى هذه البشائر .

أبو كبير للاسرة العلوية

كذلك نفهم من الخطط التوفيقية وهى أولي المراجع التاريخيه التى تحدثنا عن أبي كبير وليس أقدر من على باشا مبارك على وصف أبي كبير وهو الذي اشتغل بها كاتبا للانفار لدى مأمور زراعة القطن دفعتين متتاليتين أولاها بمرتب قدره خمسون قرشا والثانية بمرتب قدره خمسة وسبعون قرشا عند المأمور عنبر افندى السودانى الذى كان اشتغاله معه حافزاً له على طلب العلم وبه فقط علا نجمه وبلغت شهرته من القوة ما بلغت لوزير من وزراء المعارف المصرية وقد كانت هذه الواقعة سنة ١٨٤٠ م تقريباً كما حدث بذلك على باشا مبارك عن نفسه وعن حداثته .

فى الخطط التوفيقية

ورد في الجزء الثاني من الخطط التوفيقية المطبوع سنة ١٣٠٥ هـ وهى التي تمثل عهد الخديوي توفيق باشا على الاخص ما نصه ص ٢٦ .

(أبو كبير) هـذه الناحية عبارة عن عدة كفور من قسم الصوالح بمديرية الشرقية وجميعها ذات نخيل بكثرة وهي واقعة فى جزيرة مرتفعة عن المزارع بنحو مترين ويجاورها فى الجهة الشرقية السكة الحديد الذاهبة للمنصورة وبها محطة المرور وديوان التفتيش التابع (للجفالك) وبها بساتين مشتملة على الليمون والاترج والنفاش والكباد ويزرع بها البطيخ فى البواطن . وبها دكاكين وتجار من الدول المتحابة يتجرون في القطن والابزار ونحوها وبها أرباب حرف ومكاتب أهليه ومجلسا مشيخة ودعاوى (أى محكمتين) وأبنية البلد باللبن الرملى وسقوفها من خشب النخيل والجريد وتمر بها السكة الحديد الموصله الى الصالحية . وبعدها عن قرية فاقوس نحو عشرة آلاف متر الى الجنوب ، ومن شرقيها جزيرة أبي كبير (بقصد جزيرة فاضل سنتريس) وهى رمال غير صالحة للزرع ومرتفعة عن المزارع نحو من ثمانية أمتار الى ثلاثة امتار وتكسب أهلها من الزراعه سيما البطيخ وثمر النخيل وعدتها ذكوراً وأناثاً ٣٢٤٣ نفسا وأطيانها ٣٣٣٢ فدانا وكسر .

نقد رواية الخطط فى عدد السكان والاطيان

ولعل على باشا مبارك أخذ عدد السكان والاطيان فى سجلات الحكومة الرسمية فى عصر تأليف الخطط لان زمام أبى كبير وسكانها كان ضعف هذا الرقم الذي ذكره على باشا مبارك وله العذر في ذلك لان البلد كانت على عصر تأليفه للخطط قد اصبحت بلدين هما أبو كبير و كفر أبى كبير وقد تم هذا الفصل في عصر المغفور له محمد سعيد باشا سنة ١٨٦٠م وقد عثرنا على مخطوط قديم يؤيد حجتنا قبل فصل البلدين وهذا المخطوط تحت حيازة حضرة احمد بك السيد سالم نائب ابي كبير ورثه عن جده سالم أبو السيد ناظر الزراعة بادارة تفاتيش الجفالك بالشرقية منذ عصر سعيد باشا ويمثل هذا المخطوط أراضي أبى كبير المتنوعة التربة من منزرع ورمال وغيرها عقب استيلاء الحكومة عليها وضمنها لادارة الجفالك وقبل فصلها لبلدين

وهذا هو نص البيان كما ورد بنهاية المخطوط

ط	ف	البيان		فدان
		أصل زمام الناحيــــة		٧٧٦٣
		تنزيل		
	ف			
	٢١	تعديل		
	١٤٣	مضاف على زمام ناحية بني عياض	١٦٤	
		معطى لمذكورين بالوعده (بالاجل)		
ط	ف			
١٦	١٥	سالم ابوالسيد		
٤	٧	على الابزارى		
١٣	١٢	محمد البغدادي		
١٥	٥	فضل الله بشاره		
—	٢	أيوب احمد	٤٣	
		معطى لمذكورين تقاسيط على الرزنامة وانعام		
ط	ف			
١٠	٦٨	بكباشي أيوب		
٢٠	٤١	ابراهيم افندي صاغ قوله أغاسي		
٦	٤٨٣	سعادة شاكر باشا	١٢ ر ٥٩٣	١٢ ر ٨٠٠
				١٢ ر ٦٩٦٢

وبيانه ١٢ ر ٤٥٧٩ منزرع و ٥٠٣ بور محل زراعة و ١٨٨٠ رمال وترع وجسور الاطيان المشروحة بهذه التقسيطة التي صارت رزقه بلا مال باسم حضرة انست حشم أمنيه هانم افندى (اميره من الاسرة العلوية) هذه الوثيقة صحيحة اذ ان زمام الناحية الآن ٧٩٠٠ منها ٤٩٢٤ أبو كبير ٢٩٧٦ كفر أبو كبير .

والمهم من هذه الوثيقة علاوة على خطىء الخطط انها تعطينا أمرين : (الاول) ان السكان كانوا حوالى ستة آلاف حيث ثبت أن عددهم بالخطط كان لابي كبير فقط وهو عدد لا يستهان به فى وقت كان سكان القطر كله ٤ مليون ونصف ولو كانت هناك عناية بهم وبالبلد لكانت الآن (مدينه) (والثانى) ان ملك الاهالى ٤٣ فدان فقط مما يدل على ان الاهالي كانوا فقراء لأن ٥٩٣ فدان مع ثلاثة ضباط وسبعة آلاف فدان تحت ادارة الجفالك :

ومع كل فقد بقيت أبو كبير أكبر بلاد الشرقيه عددا بعد عاصمة المديرية (الزقازيق) وهذا بيان الاحصاء الرسمي سنة ١٩٤٧

٢٦٣٩٩	أبو كبير بقسمها
٢٥٥٠٦	بلبيس
١٦٢٦٣	فاقوس بقسمها
١٣٣٠٤	منيا القمح
١١٦١٣	ههيا
٨٨٠٨	أبو حماد
٤٢٧٥	الحسينية
٤١٩٧	كفر صقر

(ما الجفالك)

تحدثنا الاستاذ الكبير عبد الرحمن بك الرافعي فى سلسلة تاريخ الحركة القومية (عصر محمد على) نقلا عن الجبرتى وكبار المؤرخين من الاجانب ما يأتي ملخصه

لما فتح السلطان سليم الاول التركى مصر اعتبر نفسه مالكا للاراضى اما واضع اليد عليها فلا يملك رقبتها بل له حق الانتفاع بها ثم بسط المماليك أيديهم على

من أراضي مصر فصارت ملكا لهم على هذا النحو أما باقى الاراضى فكانت موزعه على الفلاحين والملتزمين والملتزمون هم الملاك الذين يأخذون القرى التزاما يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه على أن يلتزموا للحكومة بدفع نصيبها من الضرائب . وبعد أن غاب محمد على باشا المماليك خصوصا بعد واقعة القلعة عمد الى أملاكهم التي كانت تحت ايديهم فاستخلصها لنفسه ثم الغى نظام الالتزام واعتبر الاراضي ملكا للحكومة . وكان الفلاحون أجراء عندها منتفعون باطيانها تستأجرهم بالياومة وتدفع لهم الاجرة اما نقدا واما صنفا من الحبوب نظير الاجرة وقد تبقى لهم حق الانتفاع بالاراضي ما داموا يدفعون ضريبتها فاذا تأخروا عن اداء الضريبة نزعت الارض من تحت ايديهم وكان المأمور هو الذى يحدد لكل فلاح مساحة الارض التي تعطي له ومقدار ما يخصص لكل نوع من الزراعات فاذا جاء وقت الحصاد اشترت الحكومة من الفلاحين المحصول بالثمن الذى تحدده طبقا لنظام الاحتكار الذى فرضته ولاتترك للفلاحين الا الحبوب ثم عمدت الى الحبوب فاحتكرتها .

أحدث الغاء نظام الالتزام استياءا شديدا بين الملتزمين وكانوا يؤلفون طبقة كبيرة من الملاك والاعيان والمشايخ في مختلف البلدان يتعيشون منه فأراد محمد علي أن يعوضهم شيئا مما افتقدوه من مزايا التزامهم فابقي تحت أيديهم (الاطيان الوسيه) أي التى أقطعها اياهم ولاة الأمور من قبل القيام بأعباء الالتزام واعفاهم من دفع ضريبتها وقرر لهم عدا ذلك معاشات سنوية تعادل ما كانوا يربحونه من الاطيان الداخلة فى التزامهم ثم لجأ الى طريقة أخرى واسترد منهم الاراضي مقابل دفع مرتبات ضئيلة لهم فاصبحت جميع الاراضى تحت يده

أما الاراضي الموقوفة على المساجد ومعاهد البر والخيرات فقد تركها بادىء ذي بدء حتى لا يثير هياج المستحقين والنظار لكنه ما لبث أن الغاها وضمها الى املاك الحكومة آخذاً على عهدته الانفاق على المساجد . وأعمال الخير وقرر لهم مرتبات ضئيلة كما قرر لمشايخ البلاد والملتزمين السابقين خمسة أفدنة عن كل مائة فدان نظير قيامهم بمساعدة موظفي الحكومة وضيافتهم وتسهيل مأموريتهم ولم يتقرر نوع من الملكية الفردية في عهد محمد على لكنه أقطع كثيراً من رجال الدولة ورجال الجهادية والموظفين و كبار الاعيان مساحات من الاراضي البور ليستحثهم على اصلاحها ولتتسع الاراضي الزراعية وسميت (أباعد) وهذه الاراضي مما لا يمسح في دفاتر (التاريخ) الذي بدىء بعملة سنة ١٨١٣ كما انه خص أفراد اسرته و كبار حاشيته بأراض أخرى سميت (جفالك) واعفاها من الضرائب و كانت تعطي هذه الاطيان تقاسيط من مصلحة الروزنامه أو حجج تحرر بالمحاكم الشرعية و كانت كل هذه الاطيان مقصورة على حق الانتفاع الى ان خولهم مع حق الانتفاع التصرف الشرعي فيها لورثتهم في أواخر حكمه سنة ١٨٤٢ ولم يتقرر حق ملكية الاراضي الا في عصر سعيد باشا بمقتضي قانون سنة ١٨٥٨ والذي بمقتضاه ألغي كذلك حق أحتكار الحكومة لمشتري المحصولات وتحديد قيمتها .

أما الذين يعجزون عن دفع الضرائب والاتاوات المختلفة التى تفرض على املاكهم فكانت الحكومة تضطرهم الي التنازل عنها .

أما الضرائب فكانت جائرة خصوصا لسوء معاملة الحكام للاهلين ولم يكن ثمة قانون يمنع ظلم القوى على الضعيف ويحول دون اعتداء الحاكم على المحكوم فلا ضرائب منتظمة معلومة المقدار يعرف كل انسان حدودها بل كانت متروكة لاهواء الحكام والرؤساء ومتروكة لسوء تصرفات المشايخ الذين هم ايضا استبدوا بتسخير الفلاحين فى خدمة اراضيهم فظلموهم ظلماً فاحشاً .

اما اراضى ابى كبير

أما اراضي ابى كبير فقدضاعت من تحت يد أهاليها نتيجة لظلم الملتزمين والحكام ولسوء تصرف المشايخ وارهاقهم للاهالى بالسخرة وبفرض ضرائب وأتاوات مختلفة لاحد لها خصوصا وقد كان الحكام يتشددون في استخلاص هذه الضرائب من الاهالى بالسجن والضرب والتعذيب فالذين لايستطيعون الاداء جردوهم من اراضيهم ومن ماشيتهم ومن متاعهم وذلك ماحدث لأهل أبي كبير وكان من نتيجته انهم ارغموا على أن يتنازلوا عن أراضيهم فاصبحت ملكا للحكومة عدا من ذكرنا من الخمسة أسماء الذين لم يملكوا سوى الثلاثة والاربعين فدانا المذكوره سابقا والضباط الثلاثة الذين يملكون ٥٩٣ فدان وأصبح الباقي (رزقة) بلا مال باسم حضرة الست حشم أمينة هانم افدي واصبحت ادارتها تحت ادارة تفتيش (الجفالك) وأصبح الفلاحون أجراء . حدث فى عهد الخديوي اسماعيل ان ساءت حال المالية المصرية واضطربت وتدخل الاجانب فاضطر الخديوي تحت ضغط الحكومات الاوروبية الي الاذعان للاجانب لمراقبة المالية المصرية وتألفت لجنة انجليزية فرنسية عرفت بلجنة التحقيق العليا ومهمتها تحقيق العجز في ابواب الايرادات وأسبابه وأبواب المصروفات كذلك ووسائل اصلاحها سنة ١٨٧٨ ولما زاولت اللجنة مأموريتها اعتبرت الخديوى نفسه هو المسؤل عن مبالغ عينتها اللجنة وطالبت منه أن ينزل عن أطيانه المعروفة باطيان الدائرة السنية والدائرة الخاصة ولكنهما كانتا مرهونتين من قبل فطلبت أطيانا أخرى للعائلة الخديويه فقبل ونزل بعض الامراء والاميرات عن بعض أملاكهم رهنت ضمانا للقرض المسمي (دين رتشلد) ومنها أرض أبي كبير التى باسم ﴿ الست حشم أمينه هانم افندي ﴾ وتألفت لجنة تسمي ﴿ لجنة القومسيون ﴾ حلت محل (ادارة الجفالك)

وكان ضمن العجز المشار اليه مطلوبات لتجار ومقاولين ورواتب ومعاشات

متأخرة للموظفين وضباط الجهادية واعطاهم القومسيون عوضها أرضاً في زمام أبي كبير وهذا هو السر الذي نرى منه اسماء (عزب أبي كبير) مثل حامد ، فاضل ، نسيم ، الصبان ، الباشا ، عبد الرحيم حجازى وغيرهم من غير سكان البلد وأهاليها الاصليين

وأخيراً لما لم يجد القومسيون ربحا فى استغلال الاراضى الباقية وكانت ضعيفه باعها بالمزاد داخل مظاريف فرست قطعة على الكونت سليم شديد وأخرى على أخيه رزق الله شديد سنة ١٨٩٣م وكانت أول ملكية فردية للاهالي من نفس أرض أبي كبير عدا من ذكرنا للمرحوم السيد بك سالم وللمرحوم الشيخ سيداحمد نمر بطريق المشتري من الكونت سليم شديد سنه ١٨٩٣ م ثم توالت بعد ذلك عدة صفقات لباقى الاهـــالي .

رجولة اهالي ابي كبير وعزة نفوسهم

أما بقية أهالى أبي كبير فقد أنفوا أن يكونوا أجراء عند اصحاب الاطيان يعملون لغيرهم فطرقوا باب التجارة والصناعة والحرف فكانوا رجال جد وعمـــل وكدح فاستطاعوا من هذا الباب أن يسترجعوا كثيراً من الاراضى وأن يستعيدوا مركزهم الاجتماعي فبلغت الآن املاكهم مايناهز زمام بلدهم الاصلى لكنها خارج حدود ابي كبير في الغـالب

تمركز ابي كبير وتقدمها

وليد عهـــد الاسرة العلوية

ولو أن البحث التاريخي يرجع تاريخ أبي كبير الى عهد أواخر الدولة الفاطمية لتسعة قرون خلت تقريبا كما سيأتي . ألا انها كانت أقطاعا خصب التربة تحوطه كثبان الرمال التى تنتجعها العربان . وتتلقفه أيدى الاقوياء من السلاطين والحكام. وينطبق هذا على ما وصفته الخطط التوفيقية من انها (ناحية مكونة من جملة كفور) ،

فلم تتجمع هذه الكفور وتتمركز طيلة هذه القرون الخالية الا فى عهد الاسرة العلوية الكريمة التى عملت وتعمل على انمائها واصلاحها وتقدمها .

ففى سنة ١٨٢٠ م بني محمد على جد الاسرة العلوية القناطر التسعة التى بني عليها أيضا مدينة الزقازيق ثم شق ترعة الصادي التى تسمت باسم ملتزم الناحية من قبل (شاهين الصادى) من جهتها الشمالية وبني بها تفتيش الجفالك اما الخديوى اسماعيل فقد مد الخط الحديدي الذى يصل الزقازيق بالمنصوره مارا بها سنة ١٨٦٥ م ثم الخط الحديدى الذى يصل فاقوس والصالحية بها سنه ١٨٦٩ م ثم شق فى وسطها ترعة الجنابية سنة ١٨٧٠ م ثم ترعة الرمل بجهتها القبلية فى نفس العام .

وفي عهد الخديوى عباس انشأت شركة الدلتا الانجليزيه الخط الحـــديدي الضيق سنة ١٩٠٠ م الذي يوصلها بشمال غربي الشرقية وجنوب شرقي الدقهلية ماراً بالابراهيمية وديرب نجم ومنيت غمر ثم يصلها من الجهة الجنوبيه بأبي حماد وبلبيس .

وفى عهد المغفورله الملك فؤاد تعبدت الطرق الزراعية وأصبحت أبو كبير مركز مواصـــلات هام وسط هذه الشبكه وبنيت هندسة الرى سنة ١٩٢٢ م والمدرسة الابتدائية الاميرية سنة ١٩٢٧ م وانشىء قسم تفتيش الصحة سنة ١٩٢٨ م وفى عهد الفاروق المعظم افتتح هذا المركز سنة ١٩٤٧ م

اما مطالبنا التى نأمل ان تتم في عهده السعيد فى المدارس فهي تقرير المدرسه الثانويه نهائيا كاملة الفصول ومدرسه صناعية أو تجـــاريه لتربية الناشيه من أبناء الغالبيه الفقيره التى تمارس هاتين المهنتين ومدرسه بنات ابتدائيه . ومن المنشآت الصحيه مستشفى مركزى يتناسب مع العدد التخفيف عن كاهل الفقراء وإنشاء عملية الانارة وتوسيع عمليـــة المياه الصـــالحه للشرب كذلك لازال عهد الفاروق عهد يسر ورخاء وسعادة للامه جميعها .

ابو كبير فى عهد المماليك الجراكسه

فرغنا من الكلام عن أبي كبير الى عهد العصر التركى
أما عهد الجراكسه فكان المقريزى على ديوان الحسبة في القاهره على عهد الظاهر برقوق الجركسي وكانت وفاة الظاهر سنة ٨٢٤ هـ والمقريزى توفى سنة ٨٤٥ هـ والمقريزى عدة مؤلفات قيمة ذات أهمية تاريخية وادبية ولم يذكر شيئًا عن ابي كبير في الخطط ولم يرد ذكرها كذلك في كتابه البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب بالرغم من أنه ذكر بلاداً مجاورة لها مثل هربيط ومثل الاحراز ومثل فاقوس . ولم يكن ذلك لقلة أهمية أبي كبير فى نظره بل لان القاضي شرف الدين ابن الجيعان الذي كان معاصراً له سبقه بذكرها وابن الجيعان توفى سنة ٨٣٢ هـ ذكرها فى كتابة التحفه السنيه باسماء البلاد المصريه .

وفى عهد المماليك البحرية

ولعل المقريزي اكتفي بما قاله ابن الجيعان عنها فلم يكن هناك من التغييرات والضرائب ما يستحق الكلام عنه وبقي حالها على ما كان عليه كما قرره ابن الجيعان وكتاب التحفة السنيه يقول عن أبى كبير وهو الذي يذكر اسماء البلاد المصريه المعروفه في الفتره التي بين عهد الملك الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧١٥ هـ وبين عهد الملك الاشرف شعبان سنة ٧٧٧ هـ صحيفه ١٣ (أبو كبير مساحته ١٨٦١ فدان وعبرته ٤٥٠٠ دينار للعربان) وكانت مساحة الفدن ٦٠٠٠ متر تقريباً وكذلك اعتبر المؤرخ أبا كبير بلدا ﴿ وبني عصير أو بني عصر وهي جزيرة أبي كبير وما حولها بلداً أخرى ﴾ فجاءت المساحه أقل مما هى الآن

جعل الملك الاشرف علامة خضراء ليميز بها الاشراف عن غيرهم فقيل

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

ومفهوم عباره ابن الجيعان فى تذكير أبى كبير فى (مساحته) أنه كان أقطاعا يجبى منه ٤٥٠٠ دينار تعطيها الحكومه رواتبا للعربان الموالين لها كما هو الحال في عهد المماليك الجراكسه. وليس من المعقول أن يكون المقريزي أهمل الاطلاع على كتاب التحفة السنية بل ان سكوته كما قررنا دليل على الموافقة عليه في العهد الجركسي

وفى عهد الدولة الأيوبية

أما فى عهد الدولة الايوبية فقد كانت ارض أبى كبير ملكا لسلاطين الدولة الأيوبيه أو امرائها والدليل على ذلك ما لمحناه من بين ما كتبه المقريزى في الخطط وفي البيان والاعراب عن اقطاع الاراضي المصرية وما بينه ابن الجيعان في كتاب التحفة السنيه. ومن رواية كتاب قوانين الدواوين للاسعد ابن مماتي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ الذي ذكر اسم ابي كبير فى كتابه والذان سنتكلم عنهما فيما بعد

يقول المقريزي في الجزء الاول عن الخطط صحيفة ٩٧ كان خلفاء بني أميه وخلفاء بني العباس يقطعون الاراضي من ارض مصر النفر من خواصهم كما هو الحال اليوم (أي عهد المقريزى) فيصرف من مال وخراج أرض مصر لاعطية الجند ولسائر الكلف ويجعل ما يفضل الى بيت المال.

وما أقطع من الاراضي فانه بيد من اقطعه. واما منذ زمن السلطان صلاح الدين الايوبي الى وقتنا هذا فان ارض مصر صارت للسلطان وأمرائه واجناده.

وعبارة اجناده لاتدل على الغز الذى قدموا من الشام مع صلاح الدين وعمه أسد الدين شيراكوه فقط بل كانت القبائل العربية بمصر فى ذلك العهد لها كيان معروف ومكانتها في الجنديه والجيش ولها شأن كبير سيما وان عرب الشام وفلسطين والعراق أيضا ماتأخروا عن نصرة دولة نورالدين ضدالصليبيين في الحروب الطويلة التي وقعت بين دولة نور الدين والافرنج وبينهم وبين صلاح الدين ولكن العرب كان لهاشخصية قائمة بذاتها طيلة هذا العهد وما قبله ومابعده. ويمكننا أن نقول

ان نقول ان صلاح الدين كان يعتبر القبائل العربية الموالية له من أجناده . وكان ايضا يقطعهم الاراضى كرواتب لهم نظير قيامهم بواجب الجندية والدفاع . فاذا كان السلطان صلاح الدين اختص ارض مصر لنفسه ولامرائه واجناده . وأن القبائل العربية المقيمة بمصر والمواليه من اجناده فقد كان السلطان يقطعها الاراضي أيضا كما ذكرنا . ويفسر هـــذا النحو ويجلوه المقريزى نفسه فى البيان والاعراب صحيفه ٢٧ ، ٢٩ من الطبعة المحمودية الازهرية فيقول . لما قدم الغز صحبة أسد الدين شيراكوه الى مصر كان بأرض مصر من العرب . طلحة . وجعفر . وبلي وجهينه . ولخم . وجذاع . وشيبان . وعذره . وبلى . وسنبس . وجنيفة ومخزوم : وفي جرائد الدولة الفاطمية منهم الوف :

وجذام من قدماء عربان مصر قدموا مع عمرو بن العاص : وكانت لهم اقطاعات منها هربيط ونال بسطة ونوب ورم : وغير ذلك وكان اقطاع ثعلبه جميعه في مناشير جذام وانما وسع السلطان صلاح الدين لثعلبه فى بلاد جذام

وكذلك كانت فاقوس وما حولها لهلبا سويد وأمر منهم جماعة بالبوق والعلم وكان لبني خليفة وبني حصن من بني عبيد موضع من حقوق هربيط يعرف بالاحراز (ولاشك انه الاحراز بالزال) فاذا كان المقريزي يذكر حقوق العرب بأقليم الشرقية وهو المعروف منذ عهد الفتح الاسلامى بالحوف الشرقى ويذكر هربيط ويذكر فاقوس ويذكر حتى الاحراز واذا كانت (أبوكبير) معروفة لديه وهذا لاشك فيه من التحفه السنية الي قوانين الدواوين فمعني ذلك أنها لم يكن بيد أحد من العرب بل كانت للسلطات خاصة أولاحد أمرائه . كما كانت فى عصر محمد على باشا الى عصر اسماعيل تماما

ولا نذهب بعيدا في طريق الاستنتاج ولدينا حجة قويه . وتلك هي أن الامير شاور العربي السعدي من حرام ابن جذام كان قد تنازع النفوذ من مصر في عهد

العاضد الفاطمي مع الامير ضرغام العربي اللخمى ولما استعان ضرغام بالافرنج لجأ شاور الى دولة نور الدين التى استجابت له لما كان بينها وبين الصليبين في النزاع والقتال فى الشام دفاعا عن البلاد الاسلامية كافة وتحمسا للدين فارسلت معه أسد الدين شيركوه وصلاح الدين لمنع الافرنج من امتلاك مصر بالاتفاق مع ضرغام وانتصر المسلمون وانتصر الامير شاور وقتل ضرغام [illegible] هو والافرنج واصبح الامير شاور رئيس وزراء العاضد (مدبر الدوله) وساد مصر وحكمها حكما مطلقا والامير شاور من السعود ومساكنهم الاصلية (بزفيتا ومنية غمر) كما يقول المقريزي ولكن الامير شاور هذا لحناه في موضع زراعى يحمل اسمه للآن بكفر أبي كبير بملك سالم بك نجيب اليوم ولما كان شاور محبا للحكم راغبا فى أبهته وسلطانه اراد أن يتخلص من جيش صلاح الدين فلجأ هو الآخر بدوره الي الافرنج ليستعين بهم عليه فقتله صلاح الدين واستولى على أملاكه ومنها أبو كبير

وفى عهد الدولة الفاطمية

لم يكن لخلفاء الدوله الفاطمية بعد عهد المستنصر الفاطمي الذي بدأ سنة ٤٢٧ ﻫ وانتهى سنة ٤٨٧ ﻫ نفوذ ولاسلطان فكانوا بمعزل عن النظر فى شئون الدولة عاكفين على الملذات والشهوات تحوطهم الفتن والعيون وكان الخليفه سجين قصره والوزير الكبير (رئيس الوزراء) هو الحاكم بامره وكان هذا المنصب مطمح ومطمع الطالبين ممن يأنسون فى أنفسهم القوة والبطش بالوزير الجالس على كرسي الحكم فكانت الفتن لاتنقطع . يثور طالب الحكم بقوته واعوانه حتى اذا تغلب ملك السلطان قتل الحاكم وأجلس نفسه حاكما بدله واستولى على أملاكه من بعده شهدنا هذه الحالات فى سلسلة متصلة متعاقبة الى عهد بدر الجمالى أمير الجيوش حتى سنة ٤٦٥ ﻫ . قتل صلاح الدين شاور سنة ٥٦٤ ﻫ وحكم مصر بدله وقتل الامير شاور العادل بن طلائع بن رزيك الذى قتل العباس في خلافة الظافر وحل محله سنة ٥٤٩ﻫ

والعباس حل محل احمد ابن الافضل سنة ٤٢٦ هفي خلافة الحافظ وكان قبله المأمون ابن البطائحي في خلافه الآمر تولى الحكم بعد قتله الافضل بن بدر الجمالى سنة ٥١٩ ه وكان الافضل وزير المستعلي المتوفي سنة ٤٩٥ ه خلف اباه بدر الجمالى أمير الجيوش وبدر حكم في خلافة المستنصر سنة ٤٦٥ ه على أثر استنجاد المستنصر به لما أعيته فتنة الترك والسودان في تنافسهم على الحكم والنفوذ والسلطان في عهده وقلنا ان المستنصر توفي سنة ٤٨٧ ه فكأن حكم بدر الجمالى الارمني الاصل دام من سنة ٤٦٥ ه الى ٥١٥ ه كان خلالها حازما قاسيا استتب خلاله الامن والسكينة في البلاد

وخلاصة القول في هذا الباب أن ملكيه ابي كبير كانت تنتقل من حوزة الوزير المغلوب الى الوزير الغالب (اي الوزير الكبير)

تاريخ أبي كبير بالتحقيق

ان اقدم المراجع التى تذكر اسم ابى كبير ضمن البلاد المصرية هو كتاب قوانين الدواوين الذى سبق الاشارة اليه وضعه أسعد بن المهذب الخطير بن أبى المليح بن مماتى فاوجز فيه غاية الايجاز وذكر اسماء البلدان والاقطاع التي ضرب عليها الديوان كل بلد ضمن اقليمه.

ذكر مؤرخوا كتاب قوانين الدواوين هذه الدقة وقالوا عن هذا الايجاز فيجب على قارئه ان يزن كل حرف وكل كلمة منه لما لمؤلفه من الاهمية والخطورة لذلك حق علينا ان نذكر شيئا عن الاسعد وتاريخه وتاريخ أسرته لنتبين شيئا من أهميته.

كان جد الاسعد المسمي ابو المليح بن مماتى على الديوان في عهد المستنصر الفاطمي وفي وزارة بدر الجمالي الذى تولى الحكم سنة ٤٦٥ ه وكان ذو شهرة كبيرة ومقام فى المجتمع المصري وفي الدوائر المالية: وكان ابو الاسعد على ديوان الجيش فى عهد العاضد الفاطمي آخر خلفاء الفاطميين الذى بدأ سنة ٥٥٥ ه وكان مرتبا

للاقطاع كذلك ولما مات المهذب سنة ٥٧٧ هخلفه الاسعد وبما أن صلاح الدين أعلن استقلاله بمصر سنة ٥٦٧ ه فكأن المهذب عاصر عهد العاضد ١٢ سنة ولبث عشر سنين في عهد صلاح الدين واما صلاح الدين فقد توفى سنة ٥٨٩ ه فكأن الاسعد مكث على عهده اثني عشر سنة ايضا فى ديوان المال وهو (وزارة المالية اليوم) وكذلك كان على ديوان المال فى عهد العزيز ابن صلاح الدين . اما في عهـــد العادل ابي بكر ايوب فقد فوض اليه الصفي عبيد الله على بن شكر (مدبر الدولة) جميع الدواوين التى كانت باسمه من قبل ثم مات الاسعد بحلب سنة ٦٠٦ ه وعمره اثنان وستون سنه

وذكره ياقوت فى معجم الادباء وابن خلكان في وفيات الاعيان وغيرهما فهو الكاتب القدير والناثر الضليع والشاعر المجيد . الف مؤلفات عدة عـــدا قوانين الدواوين في مختلف النواحي من الادب العربي . فعلينا أن نقدر بعد ذلك انه كان عالما باللغة العربية ولهجتها الشرقية والغربية وانه ما كان يخط حرفا ألا وله وزن عنده بعنيه ٠ وهذا الاسعد قال عن ابي كبير صحيفة ١١١ باب الباء في اسماء بلاد مديرية الشرقية (بو كبير) باللهجة المغربية ولهذا دلالة كما سيجيء بعد وذكر (بني عصر) ضمن اسماء البلاد بالشرقية كما قرر ابن الجيعان ونوهنا عنه بانها بلد مستقل عن ابي كبير والاسعد تولي الديوان سنة ٥٧٧ ه ولم يكن ليذكر بلدا نشأت فجأة بعد توليته الديوان بل لابد انه ذكر البلاد التي كانت قد عرفت من قبل وقد قلنا فى باب البـــلاد وشهرتها وتسميتها ان القرى مثل ابي كبير تأخذ عشرات السنين حتي يشتهر اسمها وربما كانت مسماه من قبل وليست مشهورة لذلك نقرر أن أبا كبير نشأت قبل نهاية القرن الخامس الهجري ويؤيـد هــذا القول ما يأتى :

الخرائط التاريخية

الف المغفور له الامير عمر طوسن كتاب جغرافية مصر . وأرفق بها الخرائط التاريخية التي تحوي أيها مواقع البلاد وأسماءها على ضوء ماأثبته ثقاة المؤرخين . وهي معروضة بمتحف فؤاد الاول الزراعي وبدار الكتب العربية — راجعناها كلها من قبل الفتح الاسلامى وبعده الي العصر الحاضر . وقد استرعي نظرنا أن الخريطة المرسومة فى عهد المستنصر الفاطمى والتى رسمت فى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أي بعد سنة ٤٥٠ هـ (عدم وجود ذكر لابى كبير) بها وكان موقعها الحالى خالياً من التسمية ولكننا وجدنا المثلث الذى وقعت بينه أبو كبير احدى رؤوسه بلدة القراموص الحاليه الواقعة على بحر الفرما (بحر فاقوس الآن) وثاني رؤوس المثلث بلدة بني عياض وثالثها بلدة هربيط الواقعة قريبا من بحر مويس فعلمنا أن أبا كبير لم تكن معروفة قبل سنة ٤٥٠ هـ وقد تكون غير مشهورة قليلة الاهمية من جهة السكان والعمران أما الخريطة التي وضعت لعصر الملك الاشرف شعبان سنة ٧٧٧ هـ ونقلت عن كتاب التحفة السنية المذكور سابقا وكتاب الانتصار باسماء البلاد والامصار لابن دقمق فقد رسمت فى مثلث البلاد المذكور وكتب في جهتها الشرقية بالمداد الاحمر (اسم بني عصير) في مكان جزيرة ابي كبير المعروفة بكتاب الخطط التوفيقية وقال راسم الخريطة عن المكتوب بالمداد الاحمر أنه اسماء البدو والعربان الذين يقطنون التلال الرملية . وبني عصير هذه هى التى قال عنها الاسعد في قوانين الدواوين (بني عصر) وعلى كلتا الحالتين فان المفهوم من الروايتين ان بني عصر أوبني عصير من قبيلة غيز التي سكنت أباكبير ولو انهم كانوا جيرنا . ومازلنا للآن نسمي هذه الجزيرة جزيرة فاضل وكانت الطبقة التى قلبنا تسميها (ابوعصر)

وخلاصة الامر ان عدم ذكر أبي كبير بالخريطة المستنصرية لاينقض رأينا فى

من أن ابا كبير نشأت قبل نهاية القرن الخامس الهجري بعـــد سنة ٤٥٠ هـ التى رسمت الخريطة المستنصرية وعقبها والمستنصر كما ذكرنا توفى سنه ٤٨٧ هـ . وهذا هو التحقيق التاريخي لنشأه ابى كبير وشهرتها كبلد أو كناحية أو كاقطاع اذا تجاوزنا عن الزمن الذى كانت فيه غير مشهورة .

ما الاسم ابو كبير

اذا اردنا ان نبحث كلمة أبي كبير فعلينـا أن نطبقها على اللغة العربية من جهة مبناها ومن جهة استعمالها . فالكلمة مكونه من مقطعين (أبو) و (كبير)

اما « كبير » فني اللغة ضد الصغير

. واما « ابو » بالواو فاصلها « اب » مضمومة بغير الواو التى جاءت بدل الضمة للباء وقد استعملت « ابو » فى اللغة للكنية فيقال « ابوعمار » اشارة « لعلي » الذى ابنه عمار كما استعملت مجازا بمعني . ابن فيقال « على ابوعمار » أي « على بن عمار » واستعملت كذلك اشارة لاطلاق التغليب على الشيء أو المالك فقيل للفدان المجاور لمنزلنا والذي يتملكه حضـرة النائب احمـــد بك السيـد سالم « ابوعمار » كما يقال لهذا الفدان اذا كان ملكي وهو بين املاك احمد بك السيد سالم « ابوعمار » أيضا — واستعملت « ابو » كذلك اصطلاحا للدلالة على شيء اصطلح عليه الناس باسم معين كما قيل عن (الحنتيته) (ابو كبير) فلنبحث اذن كل احتمال في هذه الاحتمالات وسنبدأ بالاخير

ابوكبير بمعناها الاصطلاحى الحنتيت

لم نعرف اصلا لغويا لابي كبير بمعني الحنتيت ولاشهرة قديمة لها بهذا المعني وقد قررنا ان أبا كبير نشأت او وقعت فى آخر القرن الخامس الهجري . واما الحنتيت فما كان يعرف بانه ابو كبير فقد ذكر داود الانطاكى الطبيب العربي المشهور في تذكرته صحيفة ١٣٩ انه كان يعرف (بالكبير) وليس (بابي كبير) أى اصطلح

عليه أخيرا فالحلتيت عنده هو صمغ الانجدان ينتج من شجر بجبال كرامان وداود الانطاكى توفى سنة ١٠٠٨ ﻫ ولو كانت شهرة الحلتيت (بابي كبير) لا نبنها كذلك وهو العالم الاديب علاوة على مكانته فى الطب والعقاقير ورجعنا اخيرا الى كتاب (ذخيرة العطار او تذكرة داود على ضوء العلم الحديث) الذى الفه الدكتور حسن عبد الخالق لدرجة الشرف فى الكيمياء من انجلترا والمفتش بوزارة الزراعة الآن فقال في صحيفة ١٢٢ أبو كبير هو الحلتيت اذ الحلتيت مادة صمغية تستخرج من احداث شقوق في جذوع نوع من النباتات من العائلة الخيمية (ولعلها الانجدان) وتنمو هذه النباتات في الهند والافغان وشرق ايران .

والذي يهمنا من هذا البحث ان أبا كبير بمعني الحلتيت ظهر في العصر الاخير اي بعد وفاة داود على الاقل : وان الاشجار التى تستخرج من مادة الحلتيت لاتنمو بالقطر المصرى كله . ولو صح أنها تنمو بالقطر المصرى لقلنا أنها تنمو بارض ابى كبير واطلق عليها الاسم كما قيل في منيا القمح مثلا ولكن تبين ان ماقيل من العبارة الخطابية السابق الاشارة اليها ليس لها سند لاقديم ولاجديد وأنها في المغالطات الجدلية :

ابوكبير بمعنى اقطاع الوزير الكبير

أشرنا لعهد الدولة الفاطمية الاخير والى حالة الخلفاء والي سكان أبى كبير الوزراء وتسلسل حوادث قتل الوزير واستيلاء الوزير القاتل على املاك الوزير المقتول من عهد صلاح الدين بوزارة العاضد الي عهد الافضل بن بدر الجمالى وانه في المحتمل أن تكون تسمية (ابو كبير) أي اقطاع الوزير الكبير من باب استعمال (أبو) للتغليب والملك وربما تكون هذه الحالة قريبة من المعقول لان الترتيب الزمني قريب الشبه ايضا :

ابو كبير بمعنى بني كبير

قدمنا ما قاله المقريزى في البيان والاعراب ان جذام وثعلبه كانوا مستقرين بالحوف وان صلاح الدين وسم لثعلبة بمناشر جذام وان جذام من اقدم القبائل العربية التى قدمت مع عمرو بن العاص . ولكننا تتبعنا بطون جـــذام وثعلبه وأفخاذهما وعشائرهما بسبائك الذهب للسويدى البغدادى فلم نجد منهم من تسمي كبير حتي يكون بنوه هم بنو كبير او ابو كبير .

ثم تتبعنا البيان والاعراب وغيره كالهمداني والسيوطي والواقدي فوجدنا أن (قيسا) استقرت بالحوف ومنهم من قال ان فهم قدمت مع عمرو بن العاص منذ الفتح ومنهم وهى من قيس عيلان ومنهم من قال لم تنزل قيس مصر قبل سنة ١٠٩ هـ فقد استأذن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر وكان قيسيا وكان والى مصر الوليد بن رفاعة فهميا قيسيا ايضا فا ستقدم بطونا من قيس بعد اذن هشام واول ما نزل منهم مايه من بني نصر بن معاوية ومايه من عامر بن صعصعه ومايه من بني منصور واسكنهم الحوف ورتب لهم من ديوان بلبيس وتفرقوا بالحوف ومارسوا الزراعه واثروا ثراءا كبيرا وتوالت بعد ذلك هجرة القيسية لمصر حتي بلغوا فى ولاية محمد بن سعد وخـــلافة مروان بن محمد الاموي خمسة آلاف من بطن قيسيه أخرى ورحل منهم كثيرون الي افريقية واقاموا بها وقيل أن سليم وهلال من القيسيه ويعتبر بعض المؤرخين ان فزاره من قيس . والثابت أن طي من قيس وقـــد استقدمهم الوزير اليازوري سنة ٤٤٤هـ في عهد المستنصر الفاطمي واسكنهم الحوف الشرقي وقيـــل ان البربر امتزجوا بقيس واختلطوا بهم حتى أصبح من العسير التمييز بينها حتي أن قبيله لواته المغربيه تنسب نفسها الى قيس . وهكذا غلب اسم قيس على سائر القبائل العدنانية التي انضمت تحت لوائها وبت قيس على لخم وعلى جذام من القبائل اليمانية .

وفي سبائك الذهب للسويدى البغدادي ان نصر وصعصعه وجشم اولاد معاوية من هوزان قيس . ومن صعصعه عامر وعمرو وكبير وغيرهم وان بني منصور من هوزان قيس وكبير بن هند من بني منصور وان هؤلاء قدموا مصر واستقروا بالحوف ورحل منهم من رحل الي افريقية كما وضحنا فلايبعدأن يكون اسم (كبير) قد توارثه نفر منهم كما غلبت عادة توارث اسماء الآباء والاجداد الى وقتنا هذا حتى أننا سمعنا كاتبا مغربيا يكتب عن جامع الزيتونة بمجلة الكتاب التي تصدرها دار المعارف بعدد مايوسنة ١٩٤٧ يسمي (عبدالله كبير) وعلى ذلك استقر النفر من بني كبير أو أبو كبير بالمكان المعروف الآن بابى كبير ولمناسبة ما ذكرناه من ان الاسعد مماتى ذكر (بو كبير) في قوانين الدواوين بلهجة مغربية وهو الاديب العالم باللهجات العربية المشرقية والمغربية نحب أن نورد شيئا عن مقدار النفوذ المغربي بمصر وتاريخه واسبابه .

النفوذ المغربى بمصر

نشأت الدولة الفاطمية بالمغرب الافريقي ولما قويت شوكتها أرسل المعزلدين الله جوهر الصقلي لفتح مصر ففتحها سنة ٣٥٨ ﻫ وكان جيش جوهر مكونا من عرب المغرب ومن البربر ولما اتخذ المعز مصر مقراً لدولته وبني جوهر القاهرة والازهر عمل على تسويد العنصر العربي المغربي والبربر فولاهم المناصب الرفيعة والقيادة والجندية وولى علماء المغرب الفتيا والتدريس لتعليم المذهب الشيعى ونشره وبالجملة فقد أصبح المغاربة منذ ذلك الحين هم العنصر السائد ذو النفوذ والجاه والسلطان الى أن تولى الظاهر بن الحاكم بامر الله فاستكثر فى الترك وبدأت الحال تتبدل وادخلت أم المستنصر وكانت سوداء بني جلدتها من العبيد والسود في الجيش والمناصب حتى كان عهد بدر الجمالي بالوزارة وكان ارمنيا فتقلص النفوذ المغربي وتلاشي نهائيا ورحل المغاربه من القاهره العاصمة الى داخل البلاد وما رسوا الزراعة والحرف

واصبحوا من سواد الرعية بعد ان كانوا سادتها و كبراؤها ومن ذلك يلحظ أيضا أن جرثومة العرب التى تسمت ابو كبير باسمهم كانوا مغاربة قدموا هذه البقعة بجوار أبناء عمومتهم من بني عياض الذين هم في (سبته) المغربية وليست تخفى شهرة عياض بالمغرب التى بدأت منذ منتصف القرن الرابع الهجري وكان منهم القاضي عياض صاحب كتاب الشفا المتوفى سنة ٥٤٤ هـ وذلك هو وزن كلام الاسعد ابن مماتي وكتابته ﴿ بو كبير ﴾ باللهجة المغربية بدل اللهجة المشرقيه .(ابو كبير)

ابو كبير الهذلي ـ اول من تكنى باسم أبي كبير

وابو كبير هو عامر بن الحليس من بني سعد بن هـذيل وهذيل أخ لقريش فى القبائل العدنانية الصميمة كان لعامر ولد يسمي ﴿ كبير ﴾ فتكنى به واشتهر (بابى كبير) كان كبير هذيل وفد على النبي ﷺ على رأس وفد منهم كما تذكر كتب السير و كتب الادب التي ترجمت لهم سأل النبي ﷺ ان يبيح لهم الزنا فاجابه النبي صلى الله علية وسلم أفترضاه لنفسك ياعامر قال لا : قال النبى صلى الله عليه وسلم حديثه المشهور ﴿ حب لاخيك ماتحب لنفسك ﴾

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

. سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

كان ذلك فى العام الثامن الهجري وكان من هذيل عبـدالله بن مسعود الصحابي والحطيئة الشاعر ولأبي كبير هذا مكانة في الشعر والادب علاوة على زعامته لهذيل كان قد تزوج أم تأبط شراً الشاعر المعروف بالشجاعة والاقدام والحذر والذي كان يغزو على رجليه منفردا والذي كان واسع الحيلة والذى يقول

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسي امره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلا به الخطب الا وهو للخطب مبصر
فذاك قريع الدهر ماعاش حول اذا أشتد منه منخر جاش منخر

أقول للحيان وقد صفرت لهم وطابي ويومى ضيق الحجر معود
هما خطتا إن اما اسار ومنة وأما دم والقتل بالحر أجـدر

تزوج أبو كبير ام تأبط شرا وكان غلاما وله معه واقعة مشهورة تذكرها كتب الادب وقد ضمنها قصيدة من عيون الشعر الحماسي وصف فيها الشجاعة والاقدام فقال (ابو كبير) يخاطب ابنته (زهيره)

(أزهير) هل عن شيبة من معدل ام لا سبيل الى الشباب الاول
أم لا سبيل الي الشاب وذكره اشهي الى من الرحيق السلسل

ووصف فيها تأبط شرا فقال

ولقد سريت على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غـير مثقـل

والقصيدة عدتها ستون بيتا عرض لها ابوتمام في ديوان الحماسة والتبريزي شارح الديوان كذا بن قتيبه الدينوري في الشعر والشعراء . والمبرد أيضا في الكامل وغيرهم وأشار اليها جله من علماء ومؤرخي الادب والشعر في مناسبات مثل ابي العلاء المعرى في رسالة الغفران . حسبت أن تكون (لابي كبير) هذا صلة بنا لوجود التشابه اللفظى القوى فتتبعته . ولكن سيد على المرصفي فى رغبة الآمل يذكر ان تأبط شرا مات سنة ٥٩٠ ميلاديه أي قبل الهجرة المحمدية بـ ٣٣ سنه لانهـا كانت سنة ٦٢٣ م فلو قدرنا ان أبا كبير كانت سنه ٢٠ سنه فقط وقت ان كان تأبط شرا غلاما في العاشره وان هذا مات فى العشرين لبلغ سن أبي كبير أكثر من الثمانين عند الفتح الاسلامى لمصر سنة ١٨هـ .وهذه السن لاتسمح لصاحبها أن يسير غازيا وفاتحا فى مثل هذه المسافات البعيده خصوصا والعرب تقول

ان الثمانين وبلغتهـا قد احوجت سمعي الى ترجمان

وخصوصا وان أبا كبير نفسه كان يشكو شيخوخته في قصيدته بقوله

ذهب الشباب وفات منة مامضي ونضا (زهير) كريهتي وتبظلي

وصحوت من ذكر الغواني وانتهى عمري وانكرت الفداه تقتلي

فابو كبير لم ينزل مصر ولكن الثابت أن هذيل سارت فى جيش عمرو بن العاص وكان لها خط بالقسطاط يقال له خط هذيل بن مدركه ضمن خطط القبائل التى أمر عمرو القبائل ان يختطوها حول المسجد الكبير وابنه هـذا يوسف احمد باشا في كتابة مدينه مقساط) فى سلسلة محاضراته التي القاها على مدرسي وطلبة المدرسة الخديوية سنة ١٩١٧م عند زيارتهم للآثار العربية ولايبعد ان يكون منهم من تسمي بابى كبير او ان يكون احد من اولادهم أو احفادهم تسمى باسمه

كذلك سارت هذيل مع عبدالله بن سعد بن أبى السرح الى افريقية عند فتحها سنة ٢٧ هـ وكان فيهم أبوذؤيب الهذلى الشاعر المعروف الذي عاد مع عبدالله ابن الزبير وجماعة يحملون البشري لعثمان بن عفان فلما كانوا بمصر مات بها أبو ذؤيب . يذكر هذا كتاب الاعلام وابو ذؤيب الهذلى قدم المدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذسمع هاتفا يقول

خطب أجـل اناخ بالاسلام بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبي محمـد فعيونا تذري الدموع عليه بالتسجام

قال فركب ناقته وقدم المدينة فتأكد الخبر . اسلم وحضر السقيفه وبايع ابابكر وكان حسان بن ثابت يعد هذيل اشعر قبائل العرب ويعد أباذؤيب اشعر الاحياء منهم فقد تفوق بمرثيته التى رثى بهابنيه الثمانية الذين ماتوا بالطاعون ويعدهاابن شبه وابن رشيق وغيرهما من عيون شعر العرب المطبوع قال

امن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

أما لجسمك لا يلائم مضجعا ألا أقض عليك ذاك المضجع

فاجبتها اما لجسمى أنه أودى بني من البلاد فودعوا

أودي بني فاعقبوني حسرة — بعد السرور وعبرة لاتقلع
ولقد حرصت بان ادافع عنهمو — واذا المنية اقبلت لاتدفع
واذا المنية انشبت اظفارها — ألفيت كل تميمة لاتنفع
وتجلدى للشامتين اريهمو — اني لريب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها — واذا ترد الى قليل تقنع

وكذلك استوطنت هذيل الاندلس بذكر ذلك المقري في نفح الطيب عند ذكره للقبائل العربية بالاندلس وقد كانوا في اربولة بكورة تدمير بغرناطة التي من موانيها المرية والمرسية المقابلان لسبتة على الساحل الافريقي وكان منهم ابن هذيل العالم الكبير الذى اخذ عنه الامام الطرطوشي ومنهم على بن يوسف بني هود والي المرسية وهذيل ابنه وهما الذان كانت لهما وقائع مع ابن الاحمر ومع ملك غرناطه المسيحي ومنهم هذيل بن الحكم

ولابد ان الذين سكنوا مصر والذين بافريقية والذين بالاندلس يذكرون أبا كبير الهذلى شاعرهم وزعيمهم و كبيرهم ويسمون اولادهم باسمه على العادة المألوفة ولابد ان يكونوا قد انضموا كذلك تحت لواء القيسية بمصر والمغرب لعلو مكانة قيس وخصوصا وهم من القبائل العدنانية ولابد ان يكون قد عاد منهم نفر مع جيش جوهر الصقلى فلهذه الاعتبارات والسبب الذي تكلمنا عنه في باب النفوذ المغربي في مصر لايبعد ان يكون هذا الاسم وصلنا اقتسمنيا به . ولا يبعد أن يكون قد جاءنا من الطريق المغربي فكانت (بو كبير) كما قال الاسعد بن مماتي .

هذه الوجوه الثلاثة الاخيرة هي الاكثر احتمالا ولكننا لا نقطع بواحد منها لفقدان الدليل المادي من المراجع التاريخية وان كنا اميل الى الاخير الآن

ثكنة ابي كبير بيافا

جد بين العرب والمماليك من التنافس وتنازع النفوس والسلطان مايجد بين

الطوايف العنصرية والقومية رغم ما استفادت البلاد بل وكافة المسلمين من المماليك البحرية بصفة خاصة : فجهودهم في الحروب الصليبية وذودهم عن بيضة الاسلام لاينكره مؤرخ . ولكن الاثره والانانية من شأن طبيعة النفوس البشرية كان كل من العرب والمماليك يعلم هذا من صاحبه . أخذ العرب يكيدون المماليك ويتبرمون بسلطانهم لانهم في نظرهم رقيق اشتروا بالمال . وأخذ المماليك يكيدون للعرب كلما لمسوا من انفسهم القوة . يضغطون عليهم فيطاردونهم ويشردونهم ويضطرونهم الى الرحيل من مصر خصوصا طوايف البدو منهم الذين كانوا على اتصال دائم بين مصر وسينا وفلسطين يجيئون ويروحون كلما دعت الحالة . وقد حصل ضغط كبير من هذا النوع فى العهد التركى المملوكى . فرحل بنو عصر المقيمون بجزيرة أبي كبير

جاء في محاسن السلوك . لما تولى السلطان مصطفى خان الثالث التركي الخلافة سنة ١١٧١ هـ ونشبت بينه وبين روسيا القيصرية الحرب اغفل السلطان ارسال والي الى مصر وولى أمرها المماليك الترك بشرط ان يدفعوا خراجا للدولة فوقع التنافس بين الممالك انفسهم وناهيك بما بين المماليك والعرب من هذا التنافس فازدادت حاله مصر سوءاً ووقعت الاضطرابات الكثيره وعبث العربان بالامن متحدين في ذلك المماليك . ولما ظهر على بك الكبير سنة ١١٧٦ هـ وكان شجاعا حازماً ضرب على اكف المفسدين وحمل على العربان حملة شعواء واضطرهم الى الرحيل لمواطنهم الاصلية بفلسطين فرحل (بنوعصر) وخلت جزيرة أبي كبير منهم ولم يعد لهم اثر بها الآن : ولما كان قد جد بين بني عصر وبين جيرانهم سكان ابى كبير صلاة من النسب والألفه ولما كان من ظلم الحكام وقسوة الملتزمين والمشايخ ومن فداحة الضرائب وكثرتها رحل قوم من ابي كبير مع بنى عصر ونزلوا يافا فى جنوبها فكونوا لهم شخصية فكانت (نكنة ابي كبير) ولاتزال صلاة القرابة والمودة

بين من هنا ومن هناك ويؤيد هذا مايقوله كبار السن عندنا وقد كان (بنوعصر) من الترابين يقول المدخل الشرقي للمملكه المصرية للدكتور عمار أن قبائل الترابين والتيها كانو على اتصال دائم بمصر يقيمون هناك مـــدة ثم يعودون الى مواطنهم الاصلية بسينا وفلسطين الجنوبية كاما دعت الحاجة : وكان لهم سيطرة ونفوذ في العهد التركى الاخير . ومن هؤلاء هذيليون يرجعون انفسهم الي البريكات من التيها وكانوا يتحكمون في منطقة الخليل حتى وادى العرابه ويعيثون بلامن ويقلقون راحة الاهالي فقضي عليهم على بك الكبير واجلاهم عن مصر وردهم الى مواطنهم الاصلية .

يرجع الترابين أصلهم الى عقبه من جذام

ويرجع التيها اصلهم الى بني هلال وسليم من قيس

ومساكن الترابين والتيها كانت بسينا وفلسطين حول غزه وخان يونس وبير السبع والرمله وحبرون :

كلمة تقدير وشكر

رحم الله ثلاثة نفر من اعلام أبي كبير لهم فضل ظاهر عليها يستحقون عليه التقدير والشكر أولئك هم على بك شاكر والسيد بك سالم والنجدي بك سالم :

فاولهم : وهو اكثرهم تضحية وبذلا وان يكن قد أخذت عليه المآخذ في استعماله الاسراف في النفقة ولكنه مع ذلك قد هيأ لابي كبير مدرسة ابتدائية كانت اولى المدارس الاهلية بمديرية الشرقية سنة ١٩٠٤م فجهزها بأحسن الجهاز والاثاث ورتبها على احدث طراز المدارس الابتدائية بالقطر : وليس ذلك فحسب بل أدخل فيها الكشافه باوسع معانيها قبل ان يكون هذا (النظام) بالمدارس بل قبل ان يبدأ بها بربع قرن على الاقل : كان بالمدرسة ثلاثة فرق موسيقية مجهزه باحدث الآلات : مع مالطالبة من ملابس الجنود وملابس الضباط والسلاح الرمزي ولم يقتصر الملابس على

نوع واحد بل كانت ملابس صيفية وملابس شتوية بربه زبجرية ومايتبع ذلك من المدربين والمعلمين . وكل هذا اشتراه بماله الملحوظ فيه الاسراف وكانت المدرسة شبه مجانية فى الغالب وقد افردت له محاضرات القيتها بقاعة المحاضرات بدار الاخوان المسلمين في العام الماضي

وثانيهم : السيد بك سالم تابع خطة على شاكر نشر التعليم فانشأ كتابا أوليا راويا سنه ١٩٠٨ على نفقة الخاصه . ثم وهب مجلس المديرية قطعه ارض أقيم عليهـا المدرسه الابتدائيه الحاليه كما ساهم بالمال

ثالثهم : النجدي بك سالم تقدم ذكره قام باعباء المدرسة الابتدائيه سنة ١٩١١ م على رأس جمعية خيرية بعد تضعضع مركز شاكر بك المالى فانفق عليها وسعى لضمها لمجلس المديريه وجمع التبرعات للبناء وساهم فيها كما سعي لانشاء المجلس البلدي سنة ١٩٢٣م بالطريقة عينها — وانني اذ اقدر عمل هؤلاء واسجل لهم حسناتهم واشكرهم عليها فانما اقصد بذلك استنهاض همم القادرين وفي ميدان العمل متسع للجميع : سيسجل التاريخ عاجلا أو آجلا حسنات العاملين وسوف لاينقص حقا لاحد : وانى لارجو ان اعود مرة أخري قريبا ان شاء الله فاسجل لاعلام أبى كبير منذ بدأت الى عصرنا هذا اقدارهم وحسناتهم راجيا ممن يعنيهم الامر ان يتقدموا بالمعلومات الصحيحة المدعمه بالوثائق أو المراجع القيمه .

كلمة ختامية

وارفع كلمتى الختامية الى حضرات الرؤساء والحكام على اختلاف احزابهم طالبا منهم ان يقدروا ظروفنا وان يعملوا على انصافنا فى توزيع العدالة الاجتماعية وما تقتضيه من العناية بالتعليم والصحه والرفاهية للفقراء :

أطال الله عمر الفاروق وأيد ملكه وجعل عصره عصر يمن ورخاء وسعادة وحقق للبلاد ما تصبو اليه من الاماني والآمال ؟

على سالم عدس